Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (41), (JUNE, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) ملحق العدد 41 يونيو 2026
ردمد: 3014-6266

تصور الإنسان في فلسفة سيدني هوك

علي خليفة محمد اجويلي

جامعة الزيتونة / كلية العلوم الانسانية والتطبيقية

The concept of man in Sidney Hook's philosophy

Al-Zaytuna University, Faculty of Humanities and Applied Sciences
Ali Khalifa Mohammed Ajwaili
Lyajwyly17@gmail.com

تاريخ الاستلام:2026/06/30 -تاريخ المراجعة:2026/07/18- تاريخ القبول: 2026/07/28- تاريخ للنشر: 16/8/ 2026

الملخص:

يهدف هذا البحث الي الكشف عن تصور هوك للإنسان من خلال رؤيته الإنسانية، والتي تجعل الإنسان محور الوجود الاجتماعي والأخلاقي، وترفض إخضاعه لأي سلطة ميتافيزيقية أو حتمية تاريخية، ويري هوك ان الإنسان بوصفه كائناً عاقلاً وحراً ومسؤولاً، يمتلك القدرة على الاختيار وصنع مصيره اعتماداً على العقل والخبرة والتجربة، لا على قوى غيبية أو قوانين طبيعية مفارقة، وانطلاقاً من ذلك، رفض هوك التصورات التقليدية للقانون الطبيعي، وأن خلاص الإنسان يتحقق من خلال الإيمان بقدراته، وتنمية عقله، وترسيخ قيم التعاون والتسامح والديمقراطية، وقد انتهي البحث الي أن الحرية تمثل الركيزة الأساسية في فلسفة هوك، فهي ليست مجرد حق سياسي، بل الشرط الضروري لازدهار الإنسان وتطور المجتمع، وقد أكد هوك ترابط الحريات السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، معتبراً أن كل منها يدعم الآخر في إطار مجتمع ديمقراطي يقوم على احترام الكرامة الإنسانية والمشاركة الحرة، وفي المقابل، قمع الحريات يهدد وجود الإنسان ذاته، ويقوض إمكانات الإصلاح والتقدم، الأمر الذي قد يبرر اللجوء إلى الثورة عندما تُغلق جميع السبل السلمية لاستعادة الحرية.

الكلمات المفتاحية (هوك-الانسانية-الحرية-الديمقراطية-البراجماتية)

Abstract :

This research aims to uncover Hooke's conception of humanity through his humanistic vision, which places humankind at the center of social and moral existence and rejects subjecting it to any metaphysical authority or historical determinism. Hooke believes that humans, as rational, free, and responsible beings, possess the capacity to choose and shape their destiny based on reason, experience, and knowledge, not on supernatural forces or transcendent natural laws. Based on this, Hooke rejected traditional conceptions of natural law, arguing that human salvation is achieved through faith in one's own capabilities, the development of reason, and the establishment of the values of cooperation, tolerance, and democracy. The research concludes that freedom

represents the cornerstone of Hooke's philosophy; it is not merely a political right, but a necessary condition for human flourishing and societal development. Hooke emphasized the interconnectedness of political, economic, cultural, and religious freedoms, considering each to be supportive of the others within a democratic society founded on respect for human dignity and free participation. Conversely, the suppression of freedoms threatens human existence itself and undermines the potential for reform and progress, which may justify resorting to revolution when all peaceful avenues for restoration are exhausted Freedom.
Keywords: Sidney Hook; Humanism; Freedom; Democracy; Pragmatism.

تمهيد:

لقد شهد الإنسان عبر تاريخه تحولاتٍ كبرى أعادت تشكيل علاقته بالعالم وبذاته، إلا أن التحولات التي فرضتها الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة تبدو أكثر عمقاً واتساعاً من سابقاتها؛ إذ لم تقتصر آثارها على تطوير أدوات الحياة أو تحسين وسائل الإنتاج، بل امتدت لتطال مفهوم الإنسان نفسه، وموقعه في الوجود، وطبيعة علاقته بالآخرين وبالمجتمع، ففي عالم تحكمه الخوارزميات، وتتصاعد فيه هيمنة الآلة والأنظمة الذكية، أصبح الإنسان يواجه تحديات غير مسبوقة تمس هويته ومعنى وجوده، الأمر الذي أعاد القضية الإنسانية إلى صدارة الاهتمام الفلسفي من جديد.

وإذا كان التقدم التكنولوجي قد منح الإنسان قدرات هائلة على السيطرة على الطبيعة وتجاوز كثير من القيود التي فرضتها عليه، فإنه في الوقت ذاته أوجد صوراً جديدة من الاغتراب؛ فلم يعد الإنسان سيد أدواته على الدوام، بل أخذت الأدوات التي ابتكرها تعيد تشكيل أنماط تفكيره وسلوكه واختياراته، حتى غدت التكنولوجيا وسيطاً لا يمكن تجاوزه في معظم تفاصيل الحياة اليومية، ومع هذا التحول برزت مخاوف حقيقية من أن يتحول الإنسان تدريجياً من ذات فاعلة إلى مجرد عنصر داخل منظومات تقنية واقتصادية ضخمة تحدد مسار حياته وتوجه قراراته.

وقد أدى هذا الواقع إلى اتساع ظاهرة تشيؤ الإنسان؛ إذ بات يُنظر إليه في كثير من السياقات بوصفه رقماً في قواعد البيانات، أو وحدة إنتاج داخل المؤسسات، أو مستهلكاً في الأسواق، أو مستخدماً على المنصات الرقمية، أكثر من النظر إليه باعتباره كائناً حراً يمتلك إرادة مستقلة وكرامة أصيلة، وهكذا أخذت القيمة الإنسانية تُقاس بالكفاءة والإنتاجية والقدرة على التكيف مع متطلبات النظم التقنية، بينما تراجعت الأسئلة المتعلقة بالغاية والمعنى والحرية والمسؤولية إلى مرتبة ثانوية.

ومن ثم لم تعد الأزمة التي يعيشها الإنسان المعاصر أزمة اقتصادية أو سياسية فحسب، وإنما أصبحت أزمة هوية في المقام الأول؛ فكلما ازدادت قدرة الإنسان على التحكم في العالم الخارجي، ازدادت حيرته في فهم ذاته وتحديد مكانته داخل هذا العالم. ولم يعد السؤال المطروح هو: ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل؟ بل أصبح السؤال الأكثر إلحاحًا: من هو الإنسان؟ وما الذي يميزه عن الآلة؟ وهل لا تزال الحرية والعقل والإبداع والمسؤولية تمثل خصائص إنسانية خالصة، أم أن التطور التقني أخذ يزاحم الإنسان حتى في أكثر سماته خصوصية؟

ولذلك عاد الفكر الفلسفي المعاصر إلى إعادة طرح السؤال الأنثروبولوجي الذي صاحب الفلسفة منذ بداياتها، ولكن في سياق جديد فرضته تحديات العصر الرقمي، وأصبح البحث في ماهية الإنسان ضرورة فلسفية وحضارية تقتضي إعادة النظر في الأسس التي تقوم عليها الكرامة الإنسانية، والحرية، والديمقراطية، والمسؤولية، والعلاقة بين الإنسان والمجتمع، وإن استعادة مركزية الإنسان لم تعد تعني الانفصال عن منجزات العلم والتكنولوجيا، وإنما تعني إخضاع هذه المنجزات لمعايير إنسانية تحفظ للإنسان مكانته بوصفه الغاية لا الوسيلة.

وفي هذا السياق تكتسب فلسفة سيدني هوك أهمية خاصة؛ إذ سعت إلى بناء تصور إنساني يجعل الإنسان محوراً للفعل الاجتماعي والسياسي، ويؤكد أن قيمته لا تُستمد من انتمائه إلى قوة ميتافيزيقية أو من خضوعه لحتميات التاريخ، وإنما من قدرته على التفكير الحر، والمشاركة الديمقراطية، وتحمل المسؤولية، وصنع مستقبله بإرادته، ومن هنا تأتي أهمية دراسة تصور الإنسان في فلسفة سيدني هوك، بوصفها محاولة فلسفية لإعادة الاعتبار للإنسان في عصر تتزايد فيه التحديات التي تهدد حريته، وتعيد تشكيل هويته، وتفرض إعادة التفكير في معنى الإنسانية ذاته.

وفي تلك الورقة البحثية نحاول أن نلقي الضوء علي رؤية سيدني هوك للانسان وكيف يحافظ علي انسانيته، وما هي علاقته بالعالم المحيط به؟ محاولين الاجابة علي التساؤلات الاتية:

ما النزعة الانسانية؟

ما العلاقة بين الانسان والقانون الطبيعي؟

ما العلاقة بين الانسان والحرية؟

أولاً: النزعة الانسانية(*):

تحترم النزعة الإنسانية الإنسان وتؤكد علي أنه هو المسئول عن تحقيق التطور والتقدم. فلم يعد اليوم مصير الإنسان، أو مصير مجموعة من الناس هو مركز الثقل في الميزان، وإنما عُد مصير الإنسانية جمعاء هو الأساس الجوهري الذي علي أثره اقتفت النزعة الإنسانية خطاها الثابتة، ويطلق البعض مصطلح "المذهب الإنسان" أو "النزعة الإنسانية" علي كل رؤية للعالم يكون فيها الإنسان مركزاً للاهتمام، ولما كانت هذه النظرات متعددة ومتفاوته فقد اكتسب لفظ النزعة الإنسانية معاني كثيرة مختلفة.([1])

ويورد مراد وهبة في معجمه الفلسفي أكثر من معني للنزعة الانسانية: <u>الأول</u>: أن المذهب الانساني الي النظرة التي تدور حول الاعتقاد بأن خلاص الإنسان يتحقق بالجهد الإنساني وحده، وهو

(*) الانسانية Humanism: تدل علي ما اختص به الانسان من الصفات وأكثر والانسانية عند الفلاسفة القدماء هو المعني الكلي المجرد الدال علي ما تتقوم به ماهية الانسان وللانسانية في الفلسفة الحديثة ثلاث معانٍ:

1. الانسانية هو المعني الكلي الدال علي الخصائص المشتركة بين جميع الناس كالحياة والحيوانية.
2. الانسانية هي مجموع خصائص الجنس البشري المقومة لفصله النوعي.
3. مجموع أفراد النوع الانساني من حيث أنهم يؤلفون موجوداً جماعياً.

انظر: جميل صليبا،المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، 1982م، ص ص 158-159

([1])عثمان أمين، شيلر، دار المعارف بمصر، القاهرة،1957،ص 94.

الإعتقاد المخالف كل المخالفة للعقائد الدينية التي تذهب إلي أن خلاص الإنسان يتحقق بفضل من الله وحده ومن الإيمان، **والثاني:** فيستخدم المصطلح للدلالة علي الحركة الفكرية التي سادت في عصر النهضة الأوروبية، وكانت تدعو إلى الاعتداد بالفكر الإنساني ومقاومة الجمود والتقاليد، وترمي بوجه خاص الي التخلص من سلطة الكنيسة وقيود القرون الوسطي، **والثالث:** اشارت النزعة الانسانية الي العودة للقديم دون تكراره، والتي قامت علي إحياء وتطوير القدرات والقوي التي امتلكها القدماء وتمرسوا عليها، والتي فُقدت في العصر الوسيط.([1])

ومن ناحية أخري، يري عبد الرحمن بدوي: ان النزعة الانسانية أضافت لنا ثرءاً فكرياً، فهي تري أن الوجود الإنساني هو الأساس الأول؛ ذلك لأن كل شئ في الطبيعة يرجع إلي الإنسان، إذ أن كل شئ من الإنسان وإلي الإنسان، ولا شئ ضد الإنسان، ولا شئ خارج الإنسان.([2])

وقد برز هذا المصطلح في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي، وقد استخدمه كتاب ومفكرو عصر النهضة الأوروبية ممن تمردوا علي عقلية العصور الوسطي([3]) وقد أحدث مصطلح "النزعة الإنسانية" صدي واسع في ميادين ومذاهب عديدة، وتلك النزعة "لم تكن وليدة عصر دون غيره أو فلسفة دون غيرها بل هي خلاصة تراث فلسفي أشد تأثيراً وإغلالاً في القدم تتحدد وتتبلور معانية بأوضح ما يكون، في ظهور النزعة الإنسانية."([4])

ويعلن سارتر Sarter (1905م–1980م) في مسرحية "الذباب" أن عالم الإنسان لا يبلغ ذاته إلا إذا دفع ثمن ذلك من سيطرته علي الطبيعة، ومن تأكيد نفسه –باستمرار– كنقيض للطبيعة، فالإنسان جملة متشابهات تتحدد هنا وهناك لتكون في مجموعها الإنسان نفسه من انطباعات ومشاهد وأحداث وهذه كلها تتعاون في إبراز كيان الإنسان خارج نطاق لحمه ودمه.([5])

ويري هوك مؤكدا علي ان من أهم صفات "المذهب الإنسان"هي المعرفة والشجاعة في مقابل الجهل والاعتمادية، بالإضافة إلى أن هذا المذهب يتمتع بالحرية الإنسانية.([6])

وخلاصة القول، فإن النزعة الإنسانية ليست مذهباً جزئياً أو اتجاهاً فكرياً عابراً، وإنما هي رؤية فلسفية شاملة تنطلق من الإيمان بقيمة الإنسان وقدرته على تشكيل مصيره بنفسه، فهي تجعل الإنسان غاية في ذاته لا وسيلة لغيره، وتنظر إليه بوصفه الكائن القادر على التفكير الحر، والنقد، والإبداع، وتحمل المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية، ومن ثم فإنها ترفض إرجاع مستقبل الإنسان أو خلاصه إلى قوى غيبية أو قدر محتوم أو سلطة متعالية تتحكم في وجوده، وتؤكد بدلاً من ذلك أن خلاص الإنسان لا يتحقق إلا

([1])مراد وهبه، المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007م ، ص56.

([1])عبد الرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1947، ص65.

([3])Carliss Lamont: Humanism as a Philosophy, Philosophical library , INC, New York, Second Edition, 1949,P.18.

([4])Robert L., Johnson: Humanism and Beyond, Wzited–Church Press ,Philadelphia, New York, 1973,P.38.

([4])عبد الفتاح الديدي: القضايا المعاصرة في الفلسفة، الانجلو المصرية،القاهرة، 1967، ص 94.

([6]) Paul Kurtz S. Hook, Philosopher of Democracy And Humanism, Promethens Books, Buffalo, New York, 1983, P.160.

بجهده، وعقله، وعمله المشترك مع بني جنسه، فالإنسان هو الذي يصنع الحضارة، ويؤسس القيم، ويغير الواقع، ويواجه أزماته بالعلم والخبرة والتعاون، لا بالاستسلام أو انتظار الخلاص الخارجي، ولهذا ارتبطت النزعة الإنسانية بالدعوة إلى تحرير الإنسان من كل أشكال الوصاية الفكرية والدينية والسياسية التي تعوق استقلاله، وإلى ترسيخ قيم الحرية والعقلانية والديمقراطية والكرامة الإنسانية، حتى غدت الإنسانية نفسها هي القيمة العليا التي ينبغي أن تتجه إليها جميع الجهود الفكرية والأخلاقية، باعتبار أن مستقبل العالم لم يعد رهناً بمصير أفراد أو أمم بعينها، بل بمصير الإنسانية جمعاء. والسؤال إذن ما هو تصور هوك؟

ثانيا: الانسان والقانون الطبيعي:

يري هوك أن الذين يتحدثون عن القانون الطبيعي كقاعدة يضعون في اعتبارهم بالفعل مبدأ ميتافيزيقياً مفارقاً كقاعدة للمؤسسات الإنسانية يشيرون إليها خطأ علي أنها قانون طبيعي([1]) ويضيف قائلاً أن نظرتنا إلي الإنسان لا تهتم بما إذا كان مجرد حفنة من الأملاح المعدنية أم تعقيداً من الالكترونات، ما دام ينظر إليه علي أنه كائن يقوم باختيارات عديدة.([2])

ويقصد هوك بهذه العبارة نقد الفكرة التقليدية التي ترى أن هناك قانوناً طبيعياً أزلياً وثابتاً يمثل المعيار الذي يجب أن تقوم عليه النظم الاجتماعية والأخلاقية، فهو يرى أن أنصار القانون الطبيعي، عندما يجعلون منه أساساً للمؤسسات الإنسانية، يفترضون في الواقع وجود مبدأ ميتافيزيقي مفارق للطبيعة يمنح تلك المؤسسات مشروعيتها، ثم يطلقون عليه خطأً اسم "القانون الطبيعي"، أما هوك فيرفض هذا التصور؛ لأن الطبيعة في نظره لا تحتوي على أوامر أخلاقية جاهزة، ولا تقدم نموذجاً ثابتاً ينبغي على الإنسان اتباعه، وإنما تقدم وقائع وظروفاً يتعامل معها الإنسان بعقله وخبرته، ومن ثم فإن القيم والمؤسسات الإنسانية ليست حقائق أزلية مفروضة من خارج التجربة الإنسانية، بل هي نتاج النشاط الإنساني، تُقيم بقدر ما تنجح في حل مشكلات الإنسان وتحقيق مصالحه، ويمكن تعديلها أو تغييرها كلما تغيرت الظروف التاريخية والاجتماعية.

وفي المقابل يري ان الانسان يمارس الاختيارات ولديه القدرة علي الاختيار واتخاذ القرارات وهذا هو جوهر الانسان، مع عدم التركيز علي التكوين البيولوجي للانسان علي انه ما يمثل جوهر الانسان، ولا يقصد هنا التقليل من أهمية التفسير العلمي لطبيعة الإنسان، وإنما يؤكد أن القيمة الفلسفية للإنسان لا تُستمد من العناصر الفيزيائية أو الكيميائية التي يتكون منها، بل من قدرته على الفعل الواعي واتخاذ القرار، فسواء انتهى العلم إلى أن الإنسان ليس إلا تركيباً بالغ التعقيد من الذرات أو الإلكترونات أو الأملاح المعدنية، فإن ذلك لا يمس جوهر إنسانيته؛ لأن ما يميز الإنسان عن غيره ليس مادة تكوينه، وإنما امتلاكه القدرة على التفكير، والمفاضلة بين البدائل، واختيار الأفعال التي تحقق أهدافه، ومن ثم فإن الإنسان عند هوك لا يُعرَّف تعريفاً مادياً خالصاً، ولا ميتافيزيقياً مجرداً، وإنما يُعرَّف بوصفه كائناً فاعلاً يمتلك القدرة على الاختيار وتحمل المسؤولية عن نتائج أفعاله، وهو ما يجعل الحرية والإرادة والعمل عناصر أساسية في فهم الطبيعة الإنسانية.

([1])Hook,S Political Power and Personal Freedom,Criterion Book, INC, New York, 1957 PP.46-47.

([2])Ibid,P.7.

وبذلك يستنتج هوك من ذلك بأن الإنسان له حقوق كثيرة وهي حقه في أنه انسان، شخص روحي، وبذلك فهو سيد نفسه وسيد أفعاله، ونتيجة لذلك، فهو غاية لا وسيلة ويجب أن يعامل هكذا، وإذا ما كان الإنسان ملتزماً خلقياً بالأمور التي هي ضرورية لانجاز مصيره، وإذا ما كان يملك الحق لانجاز مصيره، فإن له الحق في الاشياء التي هي ضرورية من أجل هذا الغرض،([1]) فليس هناك أي قانون أو قوة فوقية علي الانسان تتحكم فيه أو تجعله يتخذ بعض القرارات، فالإنسان هو كائن اجتماعي بالفطرة يتفاعل مع الآخرين ومع البيئة المحيطة به، ويمارس اختيارات عديدة تمثل ماهيته واصلة.

ويري هوك ان الإنسان بطبيعته يتسامح ويحاول الوصول بمجتمعه إلى بر الأمان، وهذا ما ينشده هوك –أيضاً– من خلال محاولة البحث الدائمة عن ايجاد طرق لخلاص الإنسان، وان يتبع الإنسان طرقاً حياتية مغايرة لما اعتاد عليه مثل أن يغير في ممارسات حياته ليغير الأوضاع التي تشكل له معاناة، ويتفق هوك مع إريك فروم Erich Fromm (1900–1980) علي أن أهم الصفات والمميزات الإنسانية التي تتسم بها ملامح الإنسان الجديد هو أن يؤمن بأنه القوة الوحيدة القادرة علي تحقيق ذاته هو ولا وجود لشئ خارج ذاته يمكن أن يهبها معني ومغزي.([2]) والسؤال كيف يحقق الانسان ذاته؟

الجواب: يكمن في إيمان الانسان بقدراته البشرية والإيمان بذكائه وبقوة التجربة المكتسبة من تعاون الافراد وتضافرهم والإيمان التام بأن الثقافة الإنسانية هي التي ينبغي أن تسود وتكون لها الغلبة على غيرها.([3])

ويشير هوك إلي أنه بالرغم من أن الإنسان مقياس كل الاشياء، إلا أننا يجب أن ننتبه إلي أن الإنسان هو "المقياس" لا "الخالق" ومهما تكن فلسفة الإنسان فإنه مضطر إلى تناول الأشياء كما تقدمها له التجربة، وهو مضطر إلى تقييم الأشياء بقدر تأثيرها على حياته وحريته وسعيه الى تحصيل السعادة.([4])

ولذلك يؤكد علي، انه يجب على الإنسان أن يعمل على تكامل شخصيته والإيمان بذاته، وأن تحكم علاقته بالآخرين مجموعة من المبادئ كالحب، والتكامل مع الآخرين، التسامح، الإيمان الكامل بامكانات كل أفراد البشر، ونتيجة لهذا الإيمان تجعل قسوة الإنسان علي الإنسان أقل ضراوة، خاصة حين تكون هذه القسوة نتيجة للعمي عن حاجات الآخرين والجهل بها([5]) فالإنسان ليس في طبيعته وحشياً، ولا ناسكاً، بل عضواً في أسرة متدينة، وإنسانا خيراً ومتعلماً جيداً، يتعامل مع أمثاله من الناس.([6])

وتأسيساً على ذلك، يرى سيدني هوك أن خلاص الإنسان لا يتحقق من خلال قوة غيبية أو مبدأ ميتافيزيقي مفارق، وإنما من خلال استثمار الإمكانات الكامنة في الطبيعة الإنسانية ذاتها. فالإنسان يمتلك

([1])Marltian, J.: The Right of Man and Natural Law, New York, Charles Scriber's Sons, 1943,P.65.

([1])اريك فروم: اما نمتلك أو نكون، ترجمة سعد زهران تحت عنوان الإنسان بين الجوهر والمظهر، مراجعة وتقديم لطفي فهيم، الكويت، المجلس الاعلي للفنون والآداب، 1989، ص181 .

[3]()جون ديوي: الحرية والثقافة، ترجمة: د. أمين مرسي قنديل، القاهرة، مطبعة التحرير، د.ت، ص 145

([4])Hook,S.: American Philosophers at Work, criterion Bks, INC, New York, ISTEd, 1956,PP.392–393.

([4])Ibid, P52.

([5]) Schenieder,H.: History of American Philosophy, Forum BKs, INC, New York,1957,P.76

من القدرات العقلية والأخلاقية والاجتماعية ما يؤهله لتجاوز أزماته وصنع مستقبله، شريطة أن يؤمن بنفسه وبقدرته على التغيير، وأن يوظف عقله وخبرته في فهم الواقع، وأن ينفتح على الآخرين في إطار من التعاون والتسامح، ومن ثم، يمكن رد مقومات الخلاص الإنساني عند هوك إلى مجموعة من المرتكزات الأساسية، يتمثل أهمها في: الإيمان بقدرات الإنسان، والثقة بالذكاء والعقل والخبرة الإنسانية، والإيمان بقيمة التعاون والعمل المشترك، وترسيخ قيم الحب والتسامح واحترام الكرامة الإنسانية.

والذكاء ليس هبة من الله وليس فطرياً وإنما هو أداة مكتسبة تنمو وتتطور بنمو وتطور البحث القائم عليه الإنسان من خلال التجربة العملية التي تحقق النتائج العملية التي ننشدها، ومن هنا أصبح الذكاء وسيلة رئيسية يستخدمها الإنسان في السيطرة على الطبيعة وتحقيق ذاته، فهو عملية أساسية للوصول إلي المعرفة، لأن المعرفة مجرد ذكاء، والذكاء ما هو إلا انتخاب مناسب للغايات القصوي التي نصل إليها، باعتبار أن الذكاء معيار مناسب لقياس الغايات التي تحصل عليها من خلال العمل والنجاح الذي تحققه التجارب البعدية.([1])

ويؤكد هوك علي ان وظيفة الذكاء هي مساعدتنا علي حل المشكلات من خلال اختبار الفروض والوصول إلي النتائج العملية، التي تحققها تلك التجارب المسبقة وبالتالي فإن النتائج العملية النفعية هي اساس استخدام القدرات العقلية والذكاء.([2])

ويري هوك أن الإنسان –عند هوك– يمتلك قوة خارقة تسمي بالعقل، فمن استخدامه للعقل يستطيع أن يفصل في مشكلات عديدة أو يتجاوز عن تلك المشكلات بفضل تلك القوة ([3]) باعتبار أن العقل هو الأداة المعول عليها في "النزعة الإنسانية" وهذا راجع إلي أهمية الدور المكلف به العقل في هذا الجانب المعرفي، غير أننا ندرك أن هناك جانباً هاماً وهو أن العقل يدرك أن هناك تجارب كبري تشير إلي خيبة الأمل، ليس بوسع الإنسان الإحساس بها، ويترتب علي هذا أن يصبح للعقل دور أساس ومكلف به في شتي صور المعرفة، ففي الطبيعة لم يعد معيار اليقين تابعاً لافتراضات منطقية، بل أصبح خاضعاً لافتراضات سابقة، إذ أننا لم نعد نجد في الطبيعة معيار ومقياس اليقين تابعاً لافتراضات منطقية تقوم بتحقيقها، بل أصبح واقعاً وخاضعاً لافتراضات سابقة تتماشي وتتحقق من خلال طابع البحث الخاضع لها.

ولكن نجد في تأكيد هوك علي قيم الحب والتسامح بين البشر، فإنه يختلف مع عدد من الفلاسفة الذين أكدوا علي ان الحياة الاجتماعية عبارة عن صراع متواصل بين البشر ولا مجال للسلام الاجتماعي أو انتشار لمبادئ الحب والتسامح وغيرها من المبادئ التي يدعوا اليها هوك:

([1])Harry k.Welles: Pragmatism, Philosophy of imperialism, New York, Internation Publishers, co.,Inc, 1954,P.147.

([2])Hook,S: Dimension of Mind, University Press, New York , 1960, P56.

([3])Hook S: Reason, Social Myths and democracy, New York, the John Day Company, 1940, P.21.

فيعلن ميكافيللي ان "الحياة صراع مستمر، والسياسة صراع مستمر من أجل السلطة، والأمير يعلن أن زمن الدولة هو زمن القوة"([1])

ويتجلى التباين بين سيدني هوك ومكيافيللي في الأساس الذي تقوم عليه الحياة السياسية، فبينما ينظر مكيافيللي إلى القوة بوصفها الركيزة التي تُبنى عليها الدولة، ويمنح الأمير الحق في توظيف العنف والخداع متى اقتضت مصلحة الحكم ذلك، ينطلق هوك من رؤية إنسانية ديمقراطية تجعل التعاون والحوار واحترام كرامة الإنسان هي الأساس الذي ينبغي أن تنتظم حوله العلاقات السياسية والاجتماعية. ومن ثم فإن القوة عند هوك لا تُعد مبدأً حاكماً للحياة السياسية، بل وسيلة استثنائية تُلجأ إليها لحماية المجتمع الديمقراطي عندما تتعرض قيم الحرية والإنسانية لخطر حقيقي. ولذلك فإن ما يميز فلسفة هوك ليس تمجيد القوة، وإنما إخضاعها لمعايير أخلاقية وإنسانية تجعلها في خدمة الإنسان لا في الهيمنة عليه.

كما يرى نيتشه أن الحرب تمثل ظاهرة اجتماعية تتجسد فيها إرادة القوة بوصفها المبدأ الحاكم للحياة الإنسانية؛ فهي تعبير عن النزوع إلى السيطرة والتملك وإخضاع الآخر، ومن هذا المنطلق، لا تبدو الحياة في نظره سوى صراع دائم بين إرادات متنافسة، تسعى كل منها إلى توسيع نطاق نفوذها وفرض هيمنتها على غيرها، فالعالم، في جوهره، شبكة من علاقات القوة، حيث تنظر كل إرادة إلى الإرادات الأخرى بوصفها مجالاً لممارسة سلطانها وتحقيق غاياتها، ولذلك، يغدو الصراع هو الأصل في العلاقات الإنسانية، بينما لا يعد السلام أو التصالح سوى حالة عارضة ومؤقتة تنشأ عن توازن القوى بين الأطراف المتنافسة، سرعان ما تنتهي بمجرد اختلال هذا التوازن وظهور فرصة تُمكّن إحدى الإرادات من بسط هيمنتها على الأخرى. ([2])

فصراع البقاء والتوسع يمثل التعبير الأوضح عن إرادة القوة، فهي لا تزدهر إلا في مواجهة التحديات والمقاومة، إذ تشتد كلما اشتدت الخصومة، ومن ثم، فإن قيمة الإنسان لا تُقاس بمجرد بقائه، بل بقدرته على تعظيم قوته وتوسيع نفوذه، ولذلك يرفض نيتشه اعتبار إرادة الحياة جوهر الوجود الإنساني، ويؤكد أن المحرك الحقيقي للسلوك الإنساني هو إرادة القوة، بما تنطوي عليه من نزوع دائم إلى التفوق وتجاوز الذات وفرض الهيمنة.([3])

ويقول نيتشه "عيشوا في حالة حرب مع أشباهكم ومع انفسكم، كونوا قطاع طرق وفاتحين ما لم تستطيعوا ان تكونوا مهيمنين وملاكين"([4]) في حين يكون السلام هو بمثابة فترة استراحة فقط، فيقول" احبوا

([1])ميكافيللي: الامير، ترجمة فاروق سعد، منشورات دار الاتفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م، ص176.

([2])عبدالرحمن بدوي: نيتشة، خلاصة الفكر الاوروبي، سلسلة الفلاسفة ، ط5، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975م ص89.

([3])نيتشة: هكذا تكلم زرادشت،الانتصار علي الذات، ترجمة فيلكسفارس، دارالقلم، بيروت لبنان، ب.ت، ص198

([4])نيتشه: العالم المرح، ترجمة حسان بوريقية ومحمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ب.ت. ص169.

السلام كوسيلة لتجديد الحروب، وخير السلام ما قصرت مدته، إنني لا أشير عليكم بالسلم بل بالظفر، فليكن عملكم كفاحاً، وليكن سلمكم ظفراً." ([1])

وعلى النقيض من هذا التصور، يرفض سيدني هوك اختزال الحياة الإنسانية في منطق الصراع الدائم وإرادة الهيمنة، فمع إقراره بأن الصراع يمثل جانباً من الخبرة الإنسانية، فإنه لا يعده القانون الحاكم للعلاقات بين البشر، ولا الأساس الذي تقوم عليه الحضارة، فالإنسان عند هوك ليس كائناً يسعى بطبيعته إلى إخضاع الآخرين، وإنما كائن اجتماعي يمتلك القدرة على التعاون، والحوار، والعمل المشترك، وهي القدرات التي مكنت الإنسانية من بناء الحضارة وتطوير مؤسساتها الديمقراطية، ومن ثم، فإن القوة لا تكتسب مشروعيتها إلا إذا كانت وسيلة للدفاع عن الحرية والكرامة الإنسانية، لا أداة للسيطرة والتفوق، ولذلك تتعارض رؤية هوك مع فلسفة نيتشه التي تجعل من الصراع وإرادة القوة جوهر الوجود الإنساني، في حين يجعل هوك من العقل والخبرة والتعاون الأساس الذي يمكن الإنسان من تحقيق إنسانيته وصنع مستقبله.

وخلاصة القول، فإن تأكيدات سيدني هوك على الإيمان بقدرات الإنسان، والثقة بعقله وذكائه، والدعوة إلى التعاون والتسامح والعيش في سلام، لا تمثل مجرد قيم أخلاقية متفرقة، وإنما تشكل مشروعاً إنسانياً متكاملاً يقوم على اعتبار الإنسان الفاعل الأول في صنع حياته وتغيير واقعه غير أن هذا المشروع لا يمكن أن يتحقق ما لم يكن الإنسان حراً؛ إذ إن الإيمان بقدرات الفرد يفترض تمتعه بحرية التفكير والاختيار، والثقة بالعقل لا يكون لها معنى إذا كان العقل خاضعاً للإكراه، كما أن التعاون والسلام لا ينشآن في ظل القهر والاستبداد، وإنما في بيئة تكفل للأفراد حرية المبادرة والمشاركة وتحمل المسؤولية، ومن ثم، تغدو الحرية عند هوك ليست امتيازاً سياسياً فحسب، بل الشرط الجوهري الذي تتوقف عليه إمكانية تحقق الإنسان لذاته، وممارسته لقدراته، وإسهامه في بناء مجتمع إنساني ديمقراطي، ومن هنا يثور التساؤل: كيف تصور سيدني هوك الحرية؟

ثالثا: الانسان والحرية:

يؤكد هوك علي ذلك أن هناك شبهاً واضحاً بين "النزعة الإنسانية" وبين" الديمقراطية"، فحيث نري أن النزعة الإنسانية منهج يقوم على الملاحظة والبحث الحر، والدقة والتميز في داخل الأفكار والاشياء([2]) فالديمقراطية الإنسانية تؤمن بالتعددية بعد التجربة، وتتسامح مع الآخرين، وتؤمن بالتعاون، وبذلك يقترب هوك من وليام جيمس James William البراجماتي الذي يؤكد علي المنهج التجريبي، لأن الانسان من خلال ذلك المنهج يستطيع السيطرة علي العالم ومن ثم تطويره، ذلك لان فلسفة الانسان –في اعتقاد جيمس–تعكس شخصيته كما تعكس خبرته–أيضاً–في الكون.

ونتيجة علي ذلك، يجب علينا احترام شخصية وآراء الآخرين، فلا واحد منا يجب أن يسدد رفضه أو اعتراضه إلى غيره ولا يجب أن نتقاذف الشتائم، بل يجب، على العكس، أن نحترم "عقلية الآخرين" ذلك

([1])نيتشة: هكذا تكلم زرادشت،مرجع سابق، ص72.

([1])Hook,S; American Philosophers at Work, criterion Bks, INC, New York, ISTEd, 1956,P.394.

لأن الآخرين هم إنسانيون يناضلون من أجل الحياة، وبذلك تكون هناك صورة واضحة للإنسانية مع الديمقراطية.([1])

وعلى أثر هذا فقد نظر هوك إلى الديمقراطية كأنها سياسة ملتصقة بالفلسفة، فلو لم تكن كذلك لافتقرت إلى الاتفاق والإنجاز، لأن الديمقراطية نظرة شعبية أو هي ما يسميه هوك بـ"التعاون الحر"الذي ينبثق من خلال تربية الشباب من منظور اجتماعي([2]) والمجتمع الديمقراطي هو الذي يخضع مؤسساته للهدف الأساسي للسماح لأعضائه بالإنماء عقلياً، وعاطفياً، ووجدانياً، من خلال توسيع دوائر الاهتمامات المشتركة بواسطة الارتقاء بوسائل الاتصال والتعبير الجماهيري، وبإبداء المشاركة المسئولة في عمليات الضبط الاجتماعي والفيزيائي. وهذا ما طبقه ديوي بإصلاح التربية.([3])

معني ذلك ان الديمقراطية، عند هوك، أكثر من مجرد نظام سياسي أو حتى نظرية سياسية، فهي تعني عنده طريقة للحياة لا تتعدي خارج حدودها الخاصة أي طريقة أخري للحياة سوي ضرورات الدفاع الذاتي([4]) فأساس الديمقراطية هو الإيمان بقدرات البشر، والإيمان بذكائهم وبقوة التجربة المكتسبة من تعاون الأفراد وتضافرهم.([5])

وهذا ما دعي إليه هوك في فلسفته ذات السياق الاجتماعي التي تؤكد على أن العلاقات الاجتماعية التي يولد فيه الكائنات البشرية جوهرية لطبائعهم تماماً كمواهبهم البيولوجية، ويزيد هوك على ذلك –أيضاً– مؤكداً على أن الديمقراطية –عنده–لا تعتمد، فقط، على الإيمان بقابلية البشر للتربية كما لا تعتمد على التعهد بالبرامج المستمرة للتربية الجماهيرية للمواطنين بل على تطوير الاتجاه الذي يقدر ويشجع الاختلافات بدلاً من مجرد التسامح معها.([6])

ولا يفرق بين "الديمقراطية" و"الحرية" ويحمل حملة شعواء علي الذين يحاولون أن يقيموا تفرقة بين كليهما، إذ أنه يميل إلي استخدام كلمة الديمقراطية لتدل على الحرية السياسية بما فيها من إعلان للحقوق([7]) وبالتالي تأخذ الحرية عنده طابعاً سياسياً.

وهذا هو المعني العملي لها بوصفها، (أي الحرية) برنامجاً للسلوك التربوي للإنسان، ذلك لأن الأهداف الأساسية لعملية البناء التربوي في أي جماعة تكون مماثلة مع للأهداف العامة للفعل الأخلاقي و"اللاأخلاقي" في المجتمع، خاصة عندما لا نستحسن أهداف النظام التعليمي أو التربوي ([8]) وهنا يكون السؤال: ما هو مصدر تلك الحرية الانسانية؟

---

[1]()Ibid,P.395.

[2]()Ibid,P.494.

([4])Ibid,PP.334-335.

([1])Hook,S.:Political Power and Personal Freedom, Ibid, P.17.

([2]) جون.د. بور: ميلتون جولد بنجر، محرران، الفلسفة وقضايا العصر، ترجمة د. أحمد حمدي محمود، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1990.، ص25.

([3])Hook,S.:Political Power and Personal Freedom, Ibid, P.14.

([7])ظريف حسين: فلسفة الديمقراطية عند هوك، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ت.، ص22.

([5])Hook,S.: Education for Modern Man, Anew perspective, New York, New Enlarged Edition, Alfred.A,Krope 1963, P.58.

يعتقد هوك أن الأصل الطبيعي للحرية الإنسانية لا يعدو أن يكون مجرد أسطورة، ذلك لأن الحرية منحة طبيعية ([1]) إذ تمنح هذه الحرية للإنسان دون أي قيد أو شرط علي تصرفات ذلك الإنسان باعتباره هو المنفذ والمحقق الأساس لأركان تلك الحرية التي ينشدها الإنسان طول فترة بقائه، فليست الحرية أسطورة نتداولها ولكنها منحة وهبة طبيعية منحت للبشرية بأسرها لتحقق الإنسانية ما تبغاه، مع ملاحظة أنه يرفض كل الرفض أي مبدأ ترنسندنتالي أو لاهوتي لكل من المساواة والحرية السياسية.

وتأسيساً على ذلك، يمكن القول إن الحرية عند هوك ليست مبدأً ميتافيزيقياً مفارقاً، ولا حقاً يستمد مشروعيته من أساس لاهوتي، وإنما هي قيمة إنسانية ترتبط بطبيعة الإنسان وقدرته على التفكير والاختيار والعمل المسؤول، فالحرية في تصور هوك ليست مجرد شعار نظري، بل شرط أساسي لنمو الشخصية الإنسانية، وإطلاق طاقات العقل والإبداع، وتمكين الإنسان من الإسهام في بناء مجتمعه، ومن ثم، فإنها لا تنفصل عن المسؤولية، ولا تتحقق إلا في إطار مجتمع ديمقراطي يكفل للفرد حرية التفكير والتعبير والمشاركة، ويتيح له توظيف قدراته في خدمة التقدم الإنساني، وهكذا يغدو الدفاع عن الحرية عند هوك دفاعاً عن الإنسان ذاته، بوصفه الكائن القادر على صنع مصيره وتشكيل مستقبله بإرادته وعقله وخبرته. والسؤال الضروري: لماذا ندافع عن الحرية؟

يؤكد هوك ان الدفاع عن الحريات هي مجرد دفاع عنها اجتماعياً ضد تدخل الحكومة، وهذا يعتمد على بداهة أساسية تكمن في أن الحريات تنفع الإنسانية.([2])

ويكشف هذا التصور بوضوح عن الجذور البرجماتية لفلسفة هوك؛ إذ إنه لا يدافع عن الحرية بوصفها حقاً مجرداً أو قيمة ميتافيزيقية قائمة بذاتها، وإنما يدافع عنها لما تثمره من آثار إيجابية تعود بالنفع على المجتمع بأسره، فالحرية تتيح للأفراد التعبير عن آرائهم، وتبادل الخبرات، وممارسة النقد، الأمر الذي يسهم في تصحيح الأخطاء، وتطوير المعرفة، وإيجاد حلول أكثر فاعلية للمشكلات الاجتماعية، كما أنها تنمي روح المبادرة والإبداع، وتشجع المشاركة السياسية، وترسخ قيم المسؤولية والتعاون، مما يؤدي إلى بناء مؤسسات ديمقراطية أكثر استقراراً وقدرة على تحقيق الصالح العام، ومن ثم، فإن الدفاع عن الحرية عند هوك ليس دفاعاً عن امتياز فردي، وإنما دفاع عن الشرط الذي يجعل المجتمع أكثر تقدماً وعدلاً وإنسانية، ولهذا فإن قيمة الحرية تُقاس، في المنظور البرجماتي، بقدرتها على تحقيق المنفعة العامة والارتقاء بالحياة الإنسانية، لا بكونها حقاً مطلقاً مستقلاً عن نتائجه العملية، وهنا يثار سؤال: ما هي الحريات التي يجب ان ندافع عنها؟

يجيب هوك علي ذلك التساؤل موضحاً أن الحرية أنواع عديدة، وهي:

1. **الحرية السياسية:**

وهي الحرية التي تمنح الإنسان حق السلطة، والوجه الخاص لهذا النوع من الحرية يكمن في غياب الإكراه والتقييد من الآخرين علي التعبير المؤثر علي رغباتنا([3]) فهذه الحرية لها بروتوكول خاص في نظر

([6])The Great Ideas, Encyclopedia Britannica, 1982, Item: Democracy, P.997.

([1])Hook,S Marxism and Beyond, Rowman and Littlefield, Totowa, New Jersey, 1983, P.212.

([2])Hook,S.: Marxism and Beyond, op,cit, P.210

المؤمنين بها خاصة في الحريات التي سادت بصورة بارزة في المجتمع الأمريكي ذي الحقوق الواضحة.([1])

والحرية السياسية هي نتاج طبيعي ومحصلة لمجتمع حر، فالحكومة والدولة ليستا إضافات خارجية مصطبغة بالحالة الإنسانية([2]) ومعني هذا أن تلك الحرية ستصبح محصلة بديهية لذلك المجتمع التي تسود فيه تلك الحريات، ويصف هوك الفرد الإنساني بأنه وسيلة أساسية لتحقيق سمات وشروط تلك الحرية، لا مجرد كائن ملقي في هذا الكون.

غير أن هوك يشير إلى أننا لا يجب أن نوافق على كل حريات الفعل الإنساني، لأننا حينما ندافع عن شكل خاص للحرية، فإننا ندافع –أيضاً– في نفس الوقت عن حريات الآخرين، ذلك لأن هذه الحريات الإنسانية قد تتصارع نوعا ما؛ ولكن التوازن بين هذه الحريات، في نظر هوك، هي قلب العملية السياسية.([3])

وخلاصة تصور هوك للحرية السياسية أنها ليست مجرد غياب القيود أو تمتع الفرد بحقوق شكلية، وإنما هي الإطار الذي يمكّن الإنسان من المشاركة الفاعلة في الحياة العامة والتأثير في القرارات التي تمس مجتمعه، فالحرية السياسية لا تُمنح من الدولة بوصفها هبة من السلطة، بل تنشأ داخل مجتمع حر يحترم استقلال الفرد وحقه في التفكير والتعبير والمشاركة، ولذلك تعد الدولة الديمقراطية وسيلة لتنظيم هذه الحريات وحمايتها لا للهيمنة عليها، ومع ذلك، فإن هوك يرفض إطلاق الحرية السياسية دون ضابط؛ إذ يرى أن حرية الفرد تقف عند الحد الذي تبدأ فيه حرية الآخرين، ومن ثم فإن جوهر السياسة الديمقراطية يتمثل في إيجاد التوازن بين الحريات المتعددة بما يحقق المصلحة العامة ويحفظ كرامة جميع المواطنين، وهكذا تصبح الحرية السياسية عند هوك ممارسة مسؤولة تقوم على التوفيق بين حرية الفرد ومتطلبات العيش المشترك، لا مجرد إطلاق الإرادة الفردية دون قيد أو اعتبار للآخرين.

2. **الحرية الاقتصادية:**

الحرية الاقتصادية، لا ينظر إليها هوك بوصفها حرية مطلقة تبيح للفرد أو للمؤسسات الاقتصادية ممارسة النشاط الاقتصادي دون قيد، كما لا يراها خضوعاً كاملاً لهيمنة الدولة على الحياة الاقتصادية، وإنما يعدها أحد المقومات الأساسية التي تمكن الإنسان من ممارسة حريته الفعلية وتحقيق استقلاله، فالحرية الاقتصادية تقتضي إتاحة الفرص أمام الأفراد للعمل والإنتاج والإبداع، مع ضمان حد أدنى من العدالة الاجتماعية يكفل للجميع فرصاً متكافئة للنمو والمشاركة في الحياة الاقتصادية.

وعلي أثر هذا يؤمن هوك بمحتومية مملكة المستقبل للحرية السماوية وخاصة بعد تهجمه على الاقتصاديات الشيوعية([4]) ولكن لا توجد حرية اقتصادية بلا حرية سياسية؛ ذلك لأن هذه الأخيرة تحاول أن تحمي هذه الحرية الاقتصادية، إلا إن هوك يشير إلى خطأ فادح يكمن في افتراض أن الحرية تهتم

([1]) Dewey, J.: Freedom and Culture, New York , mentol book, 1966, P.37.

([2])ظريف حسين، فلسفة الديمقراطية عند هوك،مرجع سابق، ص98.

([3]) Hook,S.: Marxism and Beyond, op, cit,P.213.

([1])Hook,S.: American Philosophers at Work,Ibid,P.385.

بالطبقة المثقفة أو العليا– وظيفياً– أو الذين مهمتهم إبداع الأفكار ونشرها، والخطأ الأكبر منه هو اعتبار أن الحرية تعتبر ترفاً لا أهمية لها.([1])

وعلي الرغم من تعدد أنواع الحريات عند هوك، إلا أنها لا تتعارض مع بعضها البعض، وإنما هذه الحريات تكمل بعضها البعض لتظهر لنا الحرية النهائية التي تتمناها البشرية بأجمعها، ذلك لأن أساس الحرية الاقتصادية عنده يجد أصلها في الحرية السياسية، ولكن هوك لا يساوي بين الحريتين من الناحية العملية، إذ يؤكد علي أن النظام الاقتصادي قد يجعل من الحريات السياسية والثقافية غير مرغوب فيها، فالاعتقاد باقتصاد السوق الحرة ليس هو نفسه الاعتقاد بمجتمع حر والعكس صحيح.([2])

3. الحرية الثقافية:

سبق القول، أن الحرية السياسية هي أساس الحرية الاقتصادية، وبالمثل أيضاً فإن الحرية الثقافية توجد حيثما توجد الحرية السياسية، حيث أنه لو توافرت الحرية السياسية تتواجد الحرية الثقافية والعلم والأدب والفن والدين، ولا يعني أن الحرية السياسية توجد من غير الحريات الأخري.([3])

بمعني أن الحرية السياسية هي الأساس للحريات الأخري من اقتصادية وثقافية..الخ إلا أن هذه الحرية–أي السياسية–بدون الحريات الأخري لا قيمة لها، لأن كل الحريات نسيج واحد رغم أنه يتألف من خيوط عديدة، إلا أنه في النهاية بناء واحد متكامل.

فمثلاً الحرية الثقافية لا يمكن عزلها عن الحريات الأخري، لأن لها بعداً مستقبلياً أكثر من تأكيدها على الماضي المتمثل في الأصل الطبيعي للحرية في الطبيعة الإنسانية، إلا أنها لا تنفي الماضي بل تهتم بالمستقبل أكثر، لأنها تستبعد كل تعصب وتنفي كل أنماط الدوجما أو الجمود.([4])

4. حرية الملكية الخاصة:

يركز هوك علي هذا النوع من الحرية، ويؤكد علي أهميته، خاصة أن جميع الحريات أو الحقوق الإنسانية تتأسس علي هذا الحق، ومع ذلك لا يخفي هوك خشيته من التركيزات الواسعة للملكية الخاصة التي يمكنها، أيضاً، أن تكون ذات نتائج مستبدة([5]) بذلك يركز هوك علي حرية الملكية الخاصة لأنها تضاد الايديولوجيا الشيوعية التي تشيع الملكيات وتضيع الملكيات الخاصة.([6])

5. الحرية الدينية:

في البداية نؤكد أن هوك رفضَ رفضاً تاماً الدين أساساً للحرية، ولكنه، من ناحية أخري، جعل حرية الدين البؤرة المركزية لكل المجتمعات الحرة والمفتوحة، لأن الإيمان الديني شرط ضروري للمجتمع الإنساني بأسره، وأن يكون لدي الإنسان نظام تربوي ذو قيم إنسانية يهتم بها الإنسان، وأن تكون هناك اهتمامات عامة بين كل البشر، وان الالتزام الأساس للفرد هو الالتزام الخلقي والديني، وأن يكون ذكياً واعياً

([1])Hook,S.: Marxism and Beyond,Ibid,P.217.

([3])Hook,S.:,Political Power and Personal Freedom, Ibid, P.Xii.

([4]) ظريف حسين، فلسفة الديمقراطية عند هوك،مرجع سابق ، ص 106.

([4])ظريف حسين، فلسفة الديمقراطية عند هوك،مرجع سابق ، ص 106، ص107.

([2])Hook ,S.: Political Power and Personal Freedom, Ibid, P.59.

([3]) ظريف حسين، فلسفة الديمقراطية عند هوك، مرجع سابق، ص105.

بتلك الحرية([1]) ذلك لأن الحرية الدينية هي طريقة من طرق الحياة العامة والشخصية، إذ تمدنا وتزودنا بمعيار هام وهو المعيار الأخلاقي السليم للسلوك الإنساني.([2])

وظهرت الحاجة الي الحرية الدينية كحاجة اخلاقية، فنتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي ازدادت تطلعات الإنسان وصراعاته من أجل تحقيق طموحاته العلمية، والمادية، وإشباع حاجاته الغريزية في ظل نظام اقتصادي عالمي سلبه حريته الإنسانية، حيث سيطرت الآلة على العقل البشري إلى الحد الذي باتت فيه تلعب دوره وتحل محله، ونحن نري ذلك واضحاً في سيطرة الحاسبات الآلية على الإنسان ومؤسساته الاجتماعية،" فتحولت إرادة القرار إلي حاسبات القرار".([3])

وبدأ الإنسان يفقد ما كان يميزه عن غيره من المخلوقات شيئاً فشيئاً وأضحت تلك التكنولوجيا الصناعية Industrial Technology بمثابة غزو أو استعمار جديد ضاعت في غيابه كل القيم والمعايير الإنسانية، من هنا لم يعد الإنسان حراً، بل أصبح جزءاً من عدة أجزاء مكونة لآلة بيروقراطية متعاظمة.([4])

لهذا لجأ الإنسان إلى الحرية الدينية والى الدين لتحقيق الطمأنينة للروح الإنسانية، إذ إن الإنسان ليس فقط مجرد وسيلة لتحقيق غاية أو إشباع حاجة من حاجاته، وإنما هو مكون، ومقوم راسخ، وأساس لشخصية الفرد والمجتمع بأسره.

وخلاصة القول، تتجلى الحرية عند هوك بوصفها الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المشروع الإنساني والديمقراطي بأسره؛ فهي الشرط الذي يتيح للفرد أن يفكر بحرية، ويعبر عن آرائه، ويشارك في الحياة السياسية، ويحقق استقلاله الاقتصادي، ومن ثم يطور قدراته ويسهم في تقدم المجتمع، ولذلك لا ينظر هوك إلى الحريات الفكرية والسياسية والاقتصادية باعتبارها حقوقاً منفصلة، بل بوصفها منظومة متكاملة، يؤدي المساس بأحد عناصرها إلى إضعاف بقية العناصر، وإذا كانت الحرية هي الأساس الذي تقوم عليه كرامة الإنسان وإمكاناته الإبداعية، فإن غيابها لا يعني مجرد حرمان الفرد من بعض الحقوق، بل يؤدي إلى تقويض المقومات التي تجعل المجتمع قادراً على الإصلاح والتقدم، ومن هنا يثور تساؤل جوهري: إذا بلغت السلطة حداً من القهر يقضي على الحريات الأساسية ويغلق جميع السبل السلمية للإصلاح، فهل يصبح من حق الشعب أن يثور دفاعاً عن حريته؟ وكيف نظر سيدني هوك إلى مشروعية الثورة في مثل هذه الظروف؟

([1])نفسه، ص 107.

([5])جون ديوي: الحرية والثقافة، ترجمة أمين مرسي قنديل، القاهرة، مطبعة التحرير، د.ت،ص ص،154-155

[3]()حسن حنفي: دراسات فلسفية، القاهرة، مكتبة الانجلو، د.ت، ص ص 594-595.

([1])اريك فروم: اما نمتلك أو نكون، مرجع سابق، ص 19.

الجواب: إذا انعدمت تلك الحريات قد يؤدي بنا إلي وجود "ثورة" Revolutionعارمة. وهؤلاء الثوريون قد يكونون أخياراً أو حتى قديسين ولكنهم ليسوا ديمقراطيين([1]) ومعني ذلك ان عدم وجود الحرية يتطلب الثورة والتضحية لاستعاداتها والتنعم بحياة متقدمة.

خاتمة:

ان دراسة تصور الإنسان عند سيدني هوك تكشف عن أن الإنسان يمثل المحور الذي تدور حوله فلسفته بأسرها، فلا قيمة للأفكار أو النظم السياسية أو المؤسسات الاجتماعية إلا بقدر ما تسهم في تنمية الإنسان وصون كرامته وإطلاق طاقاته، ومن ثم، فإن هوك لا ينطلق من البحث في الوجود أو المعرفة لذاتهما، وإنما يجعل من الإنسان نقطة البداية والغاية النهائية لكل نشاط فلسفي.

وقد تبين أن النزعة الإنسانية عند هوك ليست نزعة عاطفية تمجد الإنسان تمجيداً مجرداً، وإنما هي مشروع فلسفي عملي يؤمن بأن الإنسان يمتلك من القدرات العقلية والخبرات التراكمية ما يؤهله لمواجهة مشكلاته وصنع مستقبله، ولذلك رفض هوك جميع التصورات التي تجعل الإنسان أسيراً لقوى ميتافيزيقية أو حتميات تاريخية أو سلطات مطلقة، مؤكداً أن الإنسان هو المسؤول الأول عن تقدم الحضارة أو تراجعها.

كما أبرز البحث أن هوك قدم تصوراً متوازناً للطبيعة الإنسانية، فلم يختزل الإنسان في كونه مجرد كائن بيولوجي تحكمه الغرائز، كما لم يرفعه إلى مرتبة الكائن الكامل المعصوم من الخطأ، وإنما نظر إليه بوصفه كائناً طبيعياً عاقلاً، قادراً على التعلم من الخبرة، وتصحيح أخطائه، وتطوير ذاته من خلال التفاعل المستمر مع مجتمعه وبيئته، وهذه الوسطية تمثل أحد أهم عناصر القوة في فلسفته.

واتضح كذلك أن الحرية تحتل مكانة محورية في مشروع هوك الإنساني؛ إذ لا تعد امتيازاً يمنح للفرد، ولا حقاً ميتافيزيقياً مفارقاً، وإنما تمثل الشرط الضروري لازدهار الشخصية الإنسانية وتطور المجتمع الديمقراطي، فالحرية الفكرية والسياسية والاقتصادية ليست غايات منفصلة، بل تشكل منظومة متكاملة تتيح للعقل أن يعمل، وللخبرة أن تتراكم، وللمجتمع أن يصحح أخطاءه بصورة مستمرة، وهو ما يعكس بوضوح الجذور البرجماتية لفلسفته.

ومن ناحية أخرى، أظهر البحث أن دفاع هوك عن الإنسان لم يكن دفاعاً مثالياً يتجاهل واقع الصراع، وإنما كان دفاعاً واقعياً يوازن بين الحرية والمسؤولية، وبين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع، وبين التسامح وضرورة حماية النظام الديمقراطي من القوى التي تهدد وجوده، ومن ثم، فإن إنسانيته ليست إنسانية حالمة، بل إنسانية عملية تؤمن بأن بقاء القيم الإنسانية مرهون بقدرة الإنسان على الدفاع عنها والعمل من أجلها.

وتكشف هذه الرؤية عن استمرار راهنية فلسفة هوك في عالمنا المعاصر؛ إذ لا تزال الأسئلة التي أثارها حول الحرية، والديمقراطية، والعقل، ومسؤولية الإنسان، تحتفظ بحيويتها في ظل ما يشهده العالم من تحولات سياسية وتكنولوجية وثقافية متسارعة، الأمر الذي يجعل العودة إلى فلسفته ضرورة فكرية لفهم

([2])Hook,S.:Political Power and Personal Freedom,Ibid,P.27.

كثير من الإشكالات الراهنة، وفي مقدمتها العلاقة بين الإنسان والسلطة، وبين الحرية والأمن، وبين التقدم العلمي والقيم الإنسانية.

وأخيراً، فإن هذا البحث لا يمثل نهاية القول في فلسفة سيدني هوك، وإنما يفتح آفاقاً لدراسات فلسفية جديدة تتناول أبعاداً أخرى من مشروعه الفكري، كتحليل مفهوم الديمقراطية في فلسفته في ضوء التحديات الرقمية المعاصرة، ودراسة موقفه من التربية بوصفها أداة لبناء الإنسان الحر، وإعادة قراءة رؤيته للعلاقة بين العلم والأخلاق، فضلاً عن بحث إسهامه في تأسيس نزعة إنسانية قادرة على مواجهة تحديات الذكاء الاصطناعي، والتحولات التكنولوجية، والأزمات العالمية التي أعادت طرح السؤال الفلسفي القديم في صيغة جديدة :**كيف يمكن للإنسان أن يظل إنساناً في عالم يتغير بوتيرة غير مسبوقة؟**

قائمة المراجع العربية والاجنبية:

المراجع العربية:

1-اريك فروم: اما نمتلك أو نكون، ترجمة سعد زهران تحت عنوان الإنسان بين الجوهر والمظهر، مراجعة وتقديم لطفي فهيم، الكويت، المجلس الاعلي للفنون والآداب، 1989

2-جميل صليبا،المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني،بيروت، 1982م.

3-جون ديوي: الحرية والثقافة، ترجمة: د. أمين مرسي قنديل، القاهرة، مطبعة التحرير، د.ت

4-جون.د. بور: ميلتون جولد بنجر، محرران، الفلسفة وقضايا العصر، ترجمة د. أحمد حمدي محمود، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1990

5-حسن حنفي: دراسات فلسفية، القاهرة، مكتبة الانجلو، د.ت،

6-ظريف حسين: فلسفة الديمقراطية عند هوك، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ت

7-عبد الرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1947.

8-عبدالرحمن بدوي: نيتشة، خلاصة الفكر الاوروبي، سلسلة الفلاسفة ، ط5، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975م

9-عبد الفتاح الديدي: القضايا المعاصرة في الفلسفة، الانجلو المصرية،القاهرة، 1967.

10- عثمان أمين، شيلر، دار المعارف بمصر، القاهرة،1957.

11- مراد وهبه، المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007م.

12- ميكافيللي: الامير، ترجمة فاروق سعد، منشورات دار الاتفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م

13- نيتشة، هكذا تكلم زرادشت،الانتصار علي الذات، ترجمة فيلكسفارس، دارالقلم، بيروت لبنان، ب.ت

14- نيتشه: العالم المرح، ترجمة حسان بوريقية ومحمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ب.ت.

المراجع الاجنبية:

15- Carliss Lamont: Humanism as a Philosophy, Philosophical library , INC, New York, Second Edition, 1949.

16- Dewey, J.: Freedom and Culture, New York , mentol book, 1966

17- Harry k.Welles: Pragmatism, Philosophy of imperialism, New York, Internation Publishers, co.,Inc, 1954

18- Hook S: Reason, Social Myths and democracy, New York, the John Day Company, 1940

19- Hook,S.: American Philosophers at Work, criterion Bks, INC, New York, ISTEd, 1956

20- Hook,S Political Power and Personal Freedom,Criterion Book, INC, New York, 1957

21- Hook,S: Dimension of Mind, University Press, New York , 1960

22- Hook,S.: Education for Modern Man, Anew perspective, New York, New Enlarged Edition, Alfred.A,Krope 1963

23- Hook,S Marxism and Beyond, Rowman and Littlefield, Totowa, New Jersey, 1983

24- Marltian, J.: The Right of Man and Natural Law, New York, Charles Scriber's Sons, 1943

25- Paul Kurtz S. Hook, Philosopher of Democracy And Humanism, Promethens Books, Buffalo, New York, 1983

26- Robert L., Johnson: Humanism and Beyond, Wzited-Church Press ,Philadelphia, New York, 1973.

27- Schenieder,H.: History of American Philosophy, Forum BKs, INC, New York,1957

28- The Great Ideas, Encyclopedia Britannica, 1982, Item: Democracy